دور المصطلح النحوي في فهم النحو العربي

إعداد | الباحث حسين علي إبراهيم | العراق

جامعة الجنان

أولاً: مقدمة

تعد دراسة المصطلح النحوي أمراً ضرورياً، من أجل الكشف عن هذا العلم، والعودة إلى بدايات علم النحو، لمعرفة كيف بدأ هذا العلم، وكيف تتطور. وتكمن أهمية البحث في كونه يتناول مفتاح علم النحو وهو المصطلح النحوي، ذلك أن العلم يعرف ويفهم عن طريق معرفة المصطلحات المستعملة فيه وفهمها، وإنه لمعرفة تطور الدراسة النحوية عبر العصور فإنه لابد من معرفة تطور المصطلح النحوي لأنهما وجها التفكير النحوي الذي أنتج النحو الذي وصل إلينا عبر تطوره في هذه الصورة التي نراها.

ثانياً: أهمية البحث وأسباب اختياره

تكمن أهمية البحث في كونه يتناول مفتاح علم النحو وهو المصطلح النحوي، ذلك أن العلم يعرف ويفهم عن طريق معرفة المصطلحات المستعملة فيه وفهمها، وإنه لمعرفة تطور الدراسة النحوية عبر العصور فإنه لابد من معرفة تطور المصطلح النحوي لأنهما وجها التفكير النحوي الذي أنتج النحو الذي وصل إلينا عبر تطوره في هذه الصورة التي نراها.

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق بعض الأهداف الأساسية نذكر منها:

- العناية بالمصطلحات النحوية من حيث تسميتها وتحديد ماهيتها وكيفية توظيفها في الدرس النحوي
- الكشف عن الدور الذي تؤديه المصطلحات النحوية في الدرس النحوي

رابعاً: الدراسات السابقة

1- المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة، دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب، منوبو، دار محمد علي، تونس، 2003.

تناول البحث في هذه الرسالة المصطلح النحوي من حيث التعريف، قثم بحث في نشأته مركزاً على العبارات التي كان النحاة يستعملونها في خطابهم النحوي، وحاول الربط بين المصطلح والتفكير النحوي لإبراز القيمة الحقيقية للمصطلح لأن المصطلح النحوي يعبر عن فكر منتجه، وذكر الأسباب التي دعت النحاة آلى وضع المصطلحات النحوية، وتطورها بالتطور الفكري والنحوي عبر القرون المتتابعة.

وتلتقي دراستنا مع هذه الدراسة من حيث الاهتمام بالمصطلح النحوي وتطوره إلا أن الباحث لم يتطرق إلى مرحلة النضج الفكري والاكتمال الفعلي للمصطلحات النحوبة، كما لم يتطرق إلى الدور الفعلي الذي يضطلع به المصطلح النحوي في النحو العربي وأهميته في فهم القاعدة النحوية، وهو ما سيتم تناوله في بحثنا هذا.

2- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، جامعة الرياض، 1979.

بين الباحث في رسالته هذه حال المصطلح النحوي في القرومن الثلاثة الأولى للهجرة، والتطور الذي لحقه، واختلاف الدراسة النحوية باختلاف المراحل التي مرت بها، حيث مثل نحو أبي الأسود نواة هذا العلم، وكان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، وقد قام الباحث بتتبع المصطلحات الواحد تلو الآخر عند النحاة للوقوف على حقيقة التطكور الفكري في الدرس النحوي.

وتختلف دراستنا هذه عن الدراسة السابقة من حيث أن البلحث بقي محصوراً ضمن فترة نشأة المصطلح وركز على الاختلاف بين المصطلحات البصرية والكوفية ولم يتطرق إلى نضوج المصطلح النحوي واكتماله ودوره في النحو العربي وهو ما سنقوم به في دراستنا هذه.

3- المصطلح النحوي في شرح المفصل لابن يعيش، أمجد طلافحة وخالد الكندي، بحث منشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد، 14، العدد1، 2017.

تناول الباحثان في هذه الدراسة المصطلح النحوي عند واحد من النحاة هو ابن يعيش في كتابه الذي شرح فيه مفصل الزمخشري، فتحدثا عن قضايا المصطلح وصلته بالنص والتوليد المعجمي له، ليتناولا بعد ذلك دراسة بعض المصطلحات وصلتها بالعلاقات النحوية.

وتختلف دراستنا عن هذه الدراسة اختلافاً كبيراً، فالباحثان قصرا دراسة المصطلح على نحوي واحد هو واقع في طور اكتمال المصطلح النحوي ونضوجه، أما دراستنا هذه فتتناول نشأة المصطلح النحوي وتطوره حتى الوصول إلى المرحلة التي بنى عليها الباحثان بحثهما.

خامساً: مفهوم النحو ونشأته

من المعروف أنّ تعريف الشيء يسهّل دراسته، والمقصود هنا تعريف النحو العربي لغة واصطلاحا؛ فعن طريق التعريف والاستعانة به يتتكشف لنا هذا العلم. ويؤثر عن أرسطو أنه كان يقضي نصف وقته في تعريف مصطلحاته، فإذا فرغ من هذا استشعر بأنه قد حل المسألة التى يبحث عنها.

1- النحو لغةً واصطلاحاً

أما النحو لغة فهو "الطريق والجهة والقصد"، ومنه نحو العربية، وقد جاءت هذه الكلمة على خمسة معان :

1. القصد، كما في القول : ينحو هذا النحو؛ أي هذا القصد.
2. المثل، كما في المثال : وجدت رجلاً نحوك؛ أي مثلك.
3. الجهة، نحو : توجهت نحو البيت؛ أي جهة البيت.
4. المقدار، نحو : له عندى نحو ألف؛ أي مقدار ألف.

2- نشأة النحو

عاشت اللغة العربية في العصر الجاهلي، وعصر صدر الاسلام عيشة قوية مع أنه ليست لها قواعد وقوانين؛ ذلك لأن العرب يتكلمون بلغتهم التي تقوم على الفطرة السليمة والسليقة المستقيمة، فلا يحتاجون إلى القواعد والقوانين، إضافة إلى أن قواعدهم للغتهم فطرة موروثة من آبائهم جيلاً بعد جيل، وراسخة في ذواتهم. ولا تزال هذه اللغة على حالها حتى جاء عصر الأموي وانتشر اللحن انتشاراً لا يمكن إخفاؤه، ولم يكن اللحن يقف على الخطأ في ضبط أواخر الكلمات فحسب، بل تعدى ذلك إلى الخطأ في الأساليب ومخارج الحروف وما إلى ذلك مما يتعلق بأمور اللغة. حتى اشتد حاله في الحواضر والمدن. وأما البادية فقد بقيت اللغة خالصة حتى أخر القرن الرابع[1].

وروي أن أحد ولاة عمر بن الخطاب، ويقال إنه أبو موسى الأشعري، والي البصرة كتب إليه كتاباً ذكر فيه كاتبه من أبو موسى الأشعري، فكتب عمر لأبي موسى أن قنع كتابك سوطا[2].

وذكرت حادثة مرور عمر بن الخطاب (رض) على جماعة يقومون بالرمي، ولكنهم لا ينجحون فيه، فوجه لومه اليهم، فأخطئوا في الكلام فغضب، وأخبرهم أن خطأ الرمي أسهل من الخطأ في اللغة[3].

إن الخلاف حول أو من وضع النحو موجود منذ القديم، ونستطيع أن نجده في كتاب أخبار اللغويين والنحويين، وفي كتاب السيرافي الذي أدرج الخلاف على ثلاثة آراء:

أما أول الآراء فهو لعاصم الذي ذهب فيه أن واضع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي، وقد قال عاصم: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي بأمر زياد بن أبيه، وكان حينئذ والياً على البصرة، فقد جاء أبو الأسود الدؤلي ذات مرة إلى زياد بالبصرة، ورأى مخالطة العرب بالأعاجم وكيف اختلفت لغتهم ولحنوا، فطلب حينئذ من زياد أن يسمح له بوضع النحو، فلم يوافق إلى أن سمع أحداً يتكلم بلغة خاطئة، فطلب من أبا الأسود وضع قواعد اللغة فوراً.

وهناك رأي آخر، الذي ذهب أن من وضع علم النحو هو نصر بن عاصم، وقد قال خالد الخداء: أن نصر بن عاصم أول من ذكر معاني التنوين، عندما قرأ سورة الفلق بلا تنوين، في حين كان عروة يقرأ مع التنوين.

الرأي الثالث لأبي النضر الذي ذهب إلى أن عبد الرحمن بن هرمز هو أول من وضع النحو حيث روى عنه ابن الهيعة أنه قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش[4].

سادساً: مفهوم المصطلح النحوي

يتألف مفهوم المصطلح النحوي من شقين رئيسين، وقبل البدء بتعريف المفهوم ككل، يجب تعريف شقيه، والشق الأول المصطلح، أما الثاني فهو النحوي وقد تمت الإشارة إلى تعريف النحو في المبحث السابق.

أما تعريف المصطلح: فقد عرّفه الخليل من مادة صلح، ومعانيه تتمحور في أنه ضد السوء، وتدل على الخير، والسعي في الأمور والإحسان[5]. وفي تاج العروس جاء معناها "الصلاح ضد الفساد" [6].

في حين أن معناه الاصطلاحي هو "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باين ما ينقل عن موضعه الأول"[7] فكلمة المصطلح إذن تدل على الإجماع، أي الإجماع بين اللغويين من أجل استخدام ألفاظ فنية معينة في الدلالة على الأفكار والمعاني النحوية، هو ما يعبر عنه بالمصطلح النحوي. وكذلك ورد في معجم الوجيز المصطلح بأنه: " لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين"[8].

كما جاء فيه تعريف الاصطلاح وهو ما دل على: " اتفاق طائفة على شيء مخصوص. واتفاق في العلوم والفنون على لفظ أو رمز معين لأداء مدلول خاص ويقال لكل علم اصطلاحاته"[9].

على الرغم من أنّ التعريفات تعددت للمصطلح أو الاصطلاح إلاّ أنها تحوي نفس المدلول. ومنه نستنتج أن الاصطلاح هو العلم الذي "يبين كيفية وضع المصطلح أي كيفية الاصطلاح. أما المصطلح فهو "الوحدة التي يقوم عليها هذا العلم.."[10] أي هو التخصيص وكيفية انتقال المعنى اللغوي للكلمة إلى معناها الاصطلاحي العلمي الذي خصه واتفق عليه جماعة من أصحاب الاختصاص.

كما أن المصطلحات مكتسبة بالتداول، قد تصدر عن فرد أو جماعة، لتُعمم، فقد تحمل اللفظة مدلولاً لدى صدورها، فما يلبث أن يتغيّر حال هذا المدلول إلى مفهوم آخر. يمكن لهذه المصطلحات أن تتأصل، حسب رأي مصطفى الشهابي، أي أنها: "تُستخلص من الرصيد اللغوي العام الفصيح والشعبي والاجتماعي، ويمكن أن تشتق من اسم علن، يوضع مفهوم المصطلح، مدلوله، قبل دالّه أو شكله، خلافاً للفظ العام"[11].

إذاً ، الاصطلاح يعطي الكلمات معاني مختلفة عما تدل عليه في أصل وضعها أو في اللغة، ولا يتم تحديدها دون تفكير، بل يتوجب أن يوجد علاقة بين معاني المفردة في اللغة، ومدلوله المصطلح عليه حتى لو كانت هذه العلاقة بعيدة[12].

سابعاً: أولية المصطلح النحوي وأسباب نشأته

يعتبر المصطلح النّحوي من أهم القضايا التي نالت حظاً وافراً عند الدارسين والباحثين منذ الأزل، على اعتبار أّن العرب الأوائل قد قاموا باجتهادات كثيرة في هذا العلم المتمثل في علم النّحو إلى أن وصل إلينا بهذه المصطلحات التي تسهم في ترسيخ وحفظ القاعدة النّحويّة؛ فالمصطلح النحوي ظهر مع تطور النّحو، وانتقاله من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي العلمي[13].

لقد نشأ المصطلح النّحوي نشأة صعبة؛ إذ إنها لم تنشأ دفعة واحدة وفي زمن واحد، ولم يفهمها عالم واحد من علماء النّحو العربيّة، لا يرتكز على جيل واحد. إذ أن المصطلح النّحوي في مرحلة النشأة النحو قد ظهر في أغلب الأحيان على شكل تعبيرات اصطلاحية، هي أقرب ما تكون إلى وصف المفاهيم منها إلى المصطلح، فبدا أن التطور لم يتوقف فقط في القرنين الثالث والرابع رغم أنّ تطوره لم يتوقف عند هذين القرنين، وذلك أن النشاط النحوي لم يتوقف.

من أسباب ظهور بعض المصطلحات هو التركيب النحوي ما يدل عليه من دلالات، وذلك ما يدعو إلى إطلاق اسم محدد على مفهوم ما. وكذلك أيضاً التشبيه بين فكرة المصطلح وفكرة خارجية عنه.

ويأتي من التعليلات الموثوقة بها للتفسير التسمية ما نسميه السبب الدلالة؛ أي إن المعنى وتمامه هو ما يقود الى تسمية معينة، من أمثلة ذلك أنه كان السبب في اطلاق اسم الموصول، حيث إن الموصول لا يمكن أن نعرف دلالته بمفرده ، هنا هو تمام معناها، وكونه جزء من معنى، فلا يكتمل دلاته من غير ما يليه، ولأنه يشبه الحرف كذلك اذ لا يظهر دلالة الحرف من دون بقية الجملة؛ بمعنى أن الكلام ومقصد الكلام لا يتضح دون وجود الصلة ويتضح ذلك في مثال: ذهب الذي، فإن هذه الجملة لم توضّح الدلالة المرادة أبداً، في حين أنّ القول: ذهل الذي قام مثلاً ، فقد اتضح المراد، بفضل صلة الموصول، فالسبب في تسمية مصطلح (الموصول) هو وضع الكلمة وحاجتها لكي تكتمل دلالتها الى ما بعدها، فهي موصولة بما بعدها وهذا تجسيد للمعنى اللغوي لكلمة موصول.

وكذلك كان المقياس الشكليّ يعدّ أحد المعايير المستخدمة لانتقاء تسمية معينة لفكرة معينة، أي عندما

يكون شكل المفردة يدل على المصطلح، يمكن التمثيل على ذلك بمثال جمع المذكر السالم، الذي سمي بذلك لسلامة البناء، فلا يتغير شكله مثل جمع التكسير.

ثامناً: الجهود الأولية لوضع المصطلح النحوي

ذُكر فيما سبق أنّ أبا الأسود الدؤلي مهّد لظهور المصطلح النحوي، بذلك علم النحو، وكان لتلامذته جهود واضحة في ميدان المصطلح النحوي.

ومن ذلك جهود يحي بن يعمر العدواني (ت 129) الذي قام بتعريف مصطلحات الرفع والنصب والوضع، التي تعد من المصطلحات الأولى العلمية التي نضجت في هذه الطبقة النحوية. وقام بذلك عندما صحح مواضع اللحن في قراءة حجاج، وأظهر مواطن الخطأ فيها، وكانت في سورة التوبة الآية ٢٤، فقال "فترفع أحب وهو منصوب أو قال فتقرأها أحب بالرفع والوجه أن تقرأ بالنصب إلى خبر كان وفي رواية البلطي يقول يحي بن يعمر للحجاج : " أما إذا سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع"[14].

تاسعاً: المصطلح النحوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي[15]

اجتمعت آراء الباحثين على أنّ الخليل هو من وضع علم العروض، بكل ما فيه من فروع، أما الجهود النحوية فلا يمكن إغفال ما قام به من جهود في مسائل النحو المختلفة، حيث نجد أن كتبه غنية وسخية بالمصطلحات النحوية، الذي قام بوضع الخطوط العريضة لها بوضوح، مثل ذلك المبتدأ والخبر وكان وأخواتها، وإن وأخواتها والافعال اللازمة والمتعدية إلى المفعول به واحد أو مفعولين، أو مفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنداء والاستغاثة وما إلى ذلك من المصطلحات المتناثرة داخل كتبه، ومنها ما هو موجود عند سيبويه، وقد قال بنقلها عن الخليل وذكرها بتفصيلاتها .

إن الخليل منهل علمي لطالبي العلم في مختلف الاختصاصات والمجالات، ولعلّ السبب في أنّ تشكيل المصطلح النحوي لدى الخليل بن أحمد الفراهيدي يعود إلى عدة عوامل أبرزها :

• المرويات الكثيرة التي وصلت إليه من أساتذته، فتحوّل الاهتمام بهذا العلم الجديد من مجرّد رصد الاخطاء إلى وضع حدود له ودراسة مروياته .

• تحويل أغلب المصطلحات التمثيل النحوي إلى مصطلحات جديدة دقيقة تعبر عن المعنى المراد على الرغم من أن التمثيل النحوي للمصطلح استمر في هذه الفترة، ولم يختف نهائياً، وامتد حتى عصر سيبويه.

عاشراً: المصطلح النحوي في كتاب سيبويه

شغلت قضية المصطلح النحوي اهتمام الباحثين والدارسين في الدرس النحوي؛ ويرجع ذلك إلى اهتمام العرب أنفسهم به، حيث قاموا باجتهادات كثيرة في هذا العلم المتمثّل في علم النحو إلى أن وصل إلينا بهذه المصطلحات التي تسهم في ترسيخ وحفظ القاعدة النحوية، ومن هنا شكّل المصطلح تجسيداً للانتقال من دلالات اللغة إلى دلالة الاصطلاح العلمي[16].

لا يمكن إنكار أنّ كتاب سيبويه يعدّ ركيزة أساسية ودعامة أولى لقيام النحو العربي كما أنه يمثل النقلة النوعية في تاريخ الدرس النحوي؛ إذ نجد كل الكتب المؤلفة في النحو، ترتبط باسمه وتعد المرجع النحوي لدى النحاة.

لقد ارتكز النحاة على كتاب سيبويه بشكل كبير دون تطوير، بل راحوا يفسرون ويشرحون المسائل التي تستعصي على الفهم أو اختصار المسائل التي تطرق سيبويه في كتابه ووضع حدوداً للمصطلحات .

جمع سيبويه في كتابه كل الأقوال المتفرقة من الدارسين السابقين له، وهم كُثُر، منهم الاخفش، والخليل، وغيرهم، وأكثر ما نقل عن الخليل الذي كان أستاذه ، وبذا يمكن القول إن هذا الكتاب سجل مليء بعلوم الخليل في مجال النحو .

فإذا اختلفت أقوال العلماء فإنه يحكيها ويوازن بينها ثم يحكم بالترجيح، وقد ضمّ إلى أقوال هؤلاء

العلماء ما استخرجه بنفسه من القواعد اعتماداً على سماعه من العرب الخلص، قال " سمعنا العرب الفصحاء يقولون انطلقتُ الصيف"[17] وكان يقول أيضا أنه سمع ممن هو ثقة من العرب الفصحاء.

وقال: " إن هذا البيت أنشدنا أعرابي من أفصح الناس وزعم أنه أشعر أبيه "[18].

لقد استطاع سيبويه أن يجمع في كتابه أقوال العلماء وما استخرجه هو بنفسه من الأحكام وكان له شخصية علمية خولته ابتداع بعض القواعد، وترتيب كتابه جامعاً عناصر الفن كلها، وأحسن التعليل، وأجاد اختيار الرأي السليم إذا وجد افتراقات في الرأي[19].

الحادي عشر: المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين

عندما يذكر الخلاف في علم النحو ينصرف الذهن إلى مدرستين كبيرتين هما البصرة والكوفة مضافاً إليهما مدارس آخر لاحقة، ولا ريب أن النحو العربي نشأ في البصرة، ولكن مع ذلك ومع هذه الخلافات بين مدرستي الكوفة والبصرة، كان كتاب سيبويه دستور النحاة منهم، لأنه تلقى أكثر نظرياته عن الخليل بن أحمد أستاذ البصريين والكوفيين على حد السواء، قال عنه العماد الحنبلي إنه لا يوجد من هو أكثر معرفة بعلم النحو من الخليل[20].

صحيح أن الأسبقية كانت البصريين وأن الكوفيين تأخروا عن البصريين في هذا العلم مدة طويلة، وذلك لانصرافهم عن التلقي عنهم، وانشغلوا برواية الشعر، ولكن بعد ذلك " تنبه الكوفيون، وصحوا من سباتهم، وأرادوا مساهمة البصريين فيما بعد أن عرفوه منهم، وشق عليهم أن تتمتع شخصياتهم في البصريين إن لن يكن لهم نحو خاص" [21].

ومما اختلف في علة تسميته بين النحويين والبصريين المنقوص وعلى سيبويه تسمية المنقوص (الذي هو المقصور إذ قد يقال للمقصور منقوص) بقوله : " فالمنقوص كل حرف من بنات الياء أو الواو وقعت ياؤه أو واوه بعد حرف مفتوح، وإنما نقصانه أن تبدأ الألف مكان الياء والواو، ولا يدخلها نصب ولا رفع ولا جرّ "[22] فالعلة كانت نقصاً في العلامة الاعرابية .

الثاني عشر: دور المصطلح النحوي في النحو العربي

عند دراسة أية قضية علمية، فلا يمكن أن نفصلها عن الظروف المحيطة بها، لأنها نشاط فكري إنساني لا يمكن تجزئته ، فلو حاولنا الحديث عن نشأة النحو فلا يمكن قطع الصلة بينه وبين علوم أخرى، أو عزله عن الاحتكاك الاجتماعي، إذن لابد من أن تؤثر مؤثرات مختلفة في المصطلح النحوي، كما أنه لابد أن يكون هناك أثر القاعدة النحوية في ظهور المصطلح، الذي لابد أن يلعب دوراً بارزاً في خدمة النحو العربي، وهذا ما سيناقشه هذا الفصل بالتفصيل.

الثالث عشر: أثر الروافد الثقافية في المصطلح النحوي

هناك روافد كثيرة أثرت في المصطلح النحوي، منها ما هو مرتبط بعلم آخر، ومنها ما هو مرتبط بثقافة أخرى مخالفة كلياً، مثل الأخذ من ثقافات أجنبية. ويمكن تقسيم هذه الروافد وفق المنابع التي أخذت منها إلى :

- **مصطلحات متأثرة بأصول الفقه:**

لم تكن العلاقة بين أصول الفقه والعربية محصورة في مجرد الاستمداد من العربية، بل تعدى ذلك إلى أن يكون متبادلاً بينهما، و لكن الأصوليين فاقوا النحاة و اللغويين استنباطهم المعاني الدقيقة للألفاظ والتي لا يستطيع أن يدركهما إلا الأصولي. أصبح علم أصول الفقه المورد الذي استقى منه النحويون أصولهم الكلية خلال القرون الثالثة أي في المرحلة الأولى، و أهمها محاولة النحاة تقنين أصولهم العامة تحت إلحاح علم الأصول التي كانت ثمرتها علم أصول النحو. ولم تقف آثار هذه الثقافة على النحو فقط، بل كان هلا أثر في مصطلحات علم النحو، حيث نقلت مصطلحات من أصول الفقه إلى أصول النحو بلفظها ودلالتها، وأخرى أخذت بلفظها وغير في دلالتها .

- **مصطلحات متأثرة بالثقافة العقدية والفلسفية**

كذلك وظف النحاة الثقافة العقدية والفلسفية في جانب المصطلح النحوي، فظهر أثرها في المصطلحات العقدية التي أصبحت تحمل دلالات نحوية ، من النماذج على ذلك :

المصطلح النحوي وما يقابله عند المتكلمين والصوفين، المنزلة بين المنزلتين المقصود بها عند المعتزلة: عدم وصف الداعي أو المرتكب الكبيرة بالإيمان ولا بالكفر بل هو في منزلة بينهما ولكنه يخلد في النار"[23].

ظهر عند ابن جني في باب أسماه بباب الحكم يقف بين الحكمين" [24] .

ومن المصطلحات الأخرى مصطلح الدور يقصد به عند المتكلمين: "توقف كل واحد من الشيئين على الآخر"[25] .

أما في النحو فقد عقد ابن جني بابا أسماه دور الاعتلال"[26] تحدث ابن جني عن الدور بعد أن تحدث عن وجوب إسكان الالم في ضربن وضربت...[27]

ومن أثر الفلسفة والاعتزال أخذ النحاة بعض المصطلحات، منها مصطلح المشترك، وهو في الأصل الفلسفي والفقهي "إما أن يكون بحيث يصحّ أن يشترك في مفهومه كثيرون، أو لا يصحّ. فإن كان الأول فهو كليّ وسواء وقعت فيه الشركة بالفعل إما بين أشخاص متناهية ماسك الكوكب أو غير متناهية كاسم الإنسان"[28] .

• مصطلحات متأثرة بعلم الحديث:

وكانت للثقافة الحديثة أثر في المصطلح النحوي في عدد من مسائل علم النحو وقضاياه ، ويظهر أن علماء أصول النحو زاوجوا بين علماء الحديث وبين الفقهاء وعلماء الأصول، فقد وجدت مصطلحات حديثية في كتب علماء النحو ، ويمكن التمثيل لذلك على سبيل المثال لا الحصر مصطلح الإجازة، الذي يعني في الحديث: أجزت لك الكتاب الفلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه... إلخ، فيروس

طالب الإجازة الكتاب عن المحدث سنده[29].

أما النحاة فقد أخذوا هذا المصطلح ولا يعني هذا أن في الكلام كثير من المعنى فاشياً وسمتا منه سلوكاً متطرفاً، وإنما غرضنا هنا أن الإجازة ابواب جمعها بين قوي الكلام وضعيفه في عقد وأن لذلك وجهنا من النظر صحيحاً[30].

• مصطلحات متأثرة بالمنطق:

ومن ذلك مصطلح العلة الذي اعتبره أرسطو قانوناً عقلياً منطقياً تستند إليه أبحاث المنطق .. وإن غاية التي ينبغي أن يتحراها الإنسان الصورة العقلية للأحداث والقبض على الصورة العقلية للأحداث والقبض على الصورة الذهنية للأشياء باعتبارها صورة جوهرية حقيقة لها، يتم ذلك بواسطة النظر العقلي التأملي الذي لا يتقيد بالأشكال الخارجية للظواهر [31] وفي النحو يعد وجود العلة خلف الظواهر اللغوية وراء القواعد النحوية، أمر محتوم لا ريب فيه، وغاية الباحث النحوي ليس بلورة العلاقات المختلفة التي تصوغ الظواهر في القواعد وتحدد أبعادها، وإنما هدفه الأساسي هو اكتشاف العلة المؤثرة في الظواهر ثم في بناء القواعد عليها[32].

• مصطلحات متأثرة بالقرآن الكريم:

لقد عرفت العربية استخدام الألفاظ في معان اصطلاحية مع نزول القرآن، واستعماله كثيرا من ألفاظه للدالة على معان مخصوصة غير ما عرفت في اللغة العامة" فقد جاء الإسلام بمفاهيم فلسفية، ودينية، واقتصادية، واجتماعية، وعلمية جديدة"[33].

وقد استقر النحاة كثير من مصطلحاتهم من القرآن الكريم، مثل مصطلح الحرف الذي عرفه سيبويه بأنه من جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[34] وأصل الحرف في اللغة هو من حروف الهجاء ، وحرف السفينة جانبها، والحرف الناقة الصُلبة، تشبه بحرف الحبل، والحرف: المنحرف وانحرفت بهم دنياهم[35] وقد استعمل القرآن ذلك في قوله : سمح وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ سجى[36].

• **مصطلحات التعريب**

أما في العصر الحديث على الرغم من استقرار المصطلح النحوي إلى حد كبير وعلى الرغم من ظهور التنظير للمصطلحات في العصر الحديث، فإن العمل المصطلحي العربي ما زال يراوح حول الجهود الفردية التي يقوم بها عدد من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم جانباً من جوانب القضية. وهناك مسألة مهمة ترفد المصطلح العربي هو النقل من اللغات الأجنبية أي التعريب: الذي يتمثل في الألفاظ التي استعملها العرب بمعاني في اللغات المختلفة، وفي صدد هذا " ما استخدمت العرب من المفردات المستخدمة لمعاني في لغة مختلفة بعد كتابتها باللغة العربية، ثم إخراجها بميزان الصرف العربي بفعل الاستعمال تصير كأنها أصيلة فالكلمة تكون أعجمية في الابتداء عربية في الانتهاء"[37]. وربما كان هذا السبب في دخول هذا المصطلح إلى النحو عند الزمخشري.

الرابع عشر: القاعدة والمصطلح النحوي

القاعدة أصل الشيء وأساسه، سواء أكان ماديا كقواعد البيت والبناء أو معنويا كقواعد الدين وقواعد الإسلام، وقواعد اللغة وغيرها، قال ابن منظور في لسان العرب: " والقاعدة أصل الأس، والقواعد: الأساس، وقاعدة البيت أساسه، وفي التنزيل " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل "(سورة البقرة ، الآية ١٢٧)، قال الزجاج: القواعد أساطين البناء التي تعمده، وقواعد الهودج خشبات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيها .وقال أبو عبيد: قواعد السحاب أصولها المعترضة آفاق السماء شبه بقواعد البناء[38].

وقال ابن فارس في معجم المقاييس: القاف والعني والدال أصل مطرد منقاس لا يخلف...[39]

كان القاعدة النحوية هي الباعث والسبب الرئيسي لنشأة النحو العربي، لكنها لم تكن بهذا المصطلح، بل اختلف مسمياتها لدى الرعيل الأول المؤسس لعلم النحو العربي غير أنها كانت تمارس تلقائيا في الصناعة النحوية واللسانية وما يصحبها من تأصيل وتعليل واستدلال وغيرها من الأدوات التحليلية.

الخامس عشر: دور المصطلح النحوي في تيسير النحو

يرى كثير من أهل اللغة والنحو قديماً أن التيسير مرادف الاختصار واعتبروا ذلك منهجاً للتأليف، فألفوا مختصراتهم النحوية سواء كانت نثرية أو منظومات شعرية، وفي ذلك يؤكد خلف الأحمر أنه رأى ولاحظ ميل كثير من الدارسين والنحاة إلى تطويل القاعدة، ووضع تعليلات كثيرة، مع إغفال ما قد يريده الباحث في ميدان النحو من معلومات أصيلة، وطرق قد تيسر عليه فهم اللغة ، وخاصة مع المبتدئ، وهنا كان لابد له من التأمل والبحث والتفكر، ليؤلف كتاباً يجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل من أجل إفادة المبتدئين لكي يستغنوا عن الحشو وكل ما ليس له قيمة[40].

لقد حاول خلف الأحمر أن يختصر، ويقتصر على ما يمكن أن يصل إلى ذهن المتعلم دون إرهاق بكثرة العلل، فجمع فيه الأصول التي يفيد منها المبتدئ، وكان هذا سبيله إلى التيسير، وهو منهج من ألفوا المختصرات النحوية نثرية، ومنظومات شعرية، بحيث تُجمع الأدوات في باب واحد مما يسهل على المتعلم الرجوع إليها في بابها دون البحث عنها في أبواب متفرقة.

ولعل دعوة الجاحظ علماء النحو إلى الاختصار والتيسير هي من الدعوات الأولى، خاصة حين لاحظ نفور الطلاب من صعوبات النحو وتعقيداته، فقال يوصي المعلمين بعدم توجيه الفتيان إلى كل مسائل اللغة التي يحتجونها والتي لا يحتاجون إليها، بل فقط الذي يحفظ لهم ألسنتهم من اللحن الفاسد ، وفقط ما له علاقة بإنشاد شعر[41] وكل ما يمكن أن يكون زائدا عن هذه الأشياء لا يجب الحديث فيه لأنه يؤدي إلى انشغال الناس بالفرع عن الأصل .

السادس عشر: الخاتمة

يعدّ هذا البحث رحلة في رحاب المصطلح النحوي، وبداياته، حتى عصر اليوم، وقد توصّل البحث إلى جملة من النتائج، أهمّها:

• اتبع النحاة طرقا كثيرة لوضع مصطلح مثل الاشتقاق، والتوالد، والاقتراض وغير ذلك. وتبقى طبيعة

المصطلح مختلفة بين النحاة.

• لجأ سيبويه إلى الوصف والعمل وكان يوظّف عدة تسميات للمصطلح الواحد لغرض التحليل، وتميزت مصطلحات سيبويه بالتعقيد والغموض إذ صعب علينا أن نحدد تسمية المصطلح ونقترب به المفهوم ونقدّم تسمية المصطلح، وفي بعض الأحيان اكتفى سيبويه بالإشارة إلى الشيء وذكر تعريفه، ويعاني المصطلح عنده من القلق وعدم الاستقرار.

• يبقى لسيبويه فضل كبير في إرساء قواعد النحو، وتأصيل كثير من المصطلحات بعد نقلها عن شيوخه أو ووضعها بنفسه. وكان له الأثر الأكبر في كل النحويين الذين جاؤوا بعده.

• تأثرت المصطلحات بالصراع بين مدرسة البصرة والكوفة، قبل أن يشهد مرحلة الاستقرار، وقد كان الخلاف في وضع مصطلح معين لمفهوم ما، أو في إطلاق علّة التسمية لمصطلح من المصطلحات؛ إذ يقوم كل فريق بطرح تعليلاته، ويؤكد صحتها بالبراهين، هذا الأمر أسهم في إكساب المصطلح النحوي في بداياته بعض القلق، وعدم الاستقرار، ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة؛ إذ بدأت تظهر نظرات وسطى، ثم بدأ النحو بالاستقرار، والمصطلح بالتحديد أكثر.

السابع عشر: الهوامش

1- الزيات، احمد حسن: **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر الطباعة والنشر، د.ت، ص 205.

2- ابن جني، **الخصائص**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 8.

3- الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، ج1، ص 82.

4- ينظر، السيرافي: **أخبار النحويين البصريين**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1973، ص 17_22.

5- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **معجم العين**، العراق، ج3، ص 117، مادة صلح.

6- الزبيدي، مرتضى الحسيني: **تاج العروس**، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1965، ج7، ص، 547.

7- الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، ضبطه محمد بن عبد الحكم القاضي، دار الكتاب، القاهرة، 1991، ص 44.

8- مجمع اللغة العربية، **الوجيز**، دار التحرير للطبع والنشر، 1989، ص 368.

9- المرجع السابق، ص 368.

10- الحديدي، ايناس كمال الحديدي: **المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث**، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2006، ص 31.

11- الحمزاوي، محمد رشاد: **قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم في نظر مصطفى الشهابي**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 71، كانون الثاني 1996، ص 21.

12- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص 6.

13- ينظر، القوزي حمد عوض، **المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري**، ص 21 .

14- القوزي، عوض محمد: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص 44-43.

15- أبو عَبْدِ اَلرحْمَنْ اَلْخَلِيلْ بْنْ أَحْمَدْ بْنْ عَمْرُو بْنْ تَمِيمْ اَلْفَرَاهِيدِي اَلْأَزْدِيّ اَلْيَحْمَدِي اَلْبَصَرِيَّ المعروف بَالْفَرَاهِيدِي (100 هـ 170 هـ - 718م 786م) ؛ شاعر ونحوي عربي بصري، يُعد عالمًا بارزًا وإمامًا من أئمة اللغة والأدب

العربيين، وهو واضع علم العروض، وقد درس الموسيقى والإيقاع في الشعر العربي ليتمكّن من ضبط أوزانه. ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو أيضا أستاذ سيبويه النحويّ. ولد في البصرة في العراق ومات فيها (تشير بعض المصادر إلى أنّه ولد في عُمان)، وعاش زاهدًا تاركًا لزينة الدنيا، محبًا للعلم والعلماء. وكان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف. قال النَّضْر بن شُمَيْل: ما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه.

16- ينظر : قوزي، عوض : **المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري**، ص 21.

17- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، عالم الكتب، ط 3، 1983، ج 1، ص 111 .

18- سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 52.

19- ينظر : الطنطاوي، محمد : **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، ص 83.

20- ابن العماد، : **شذرات الذهب**، مكتبة القدسي، 1935، 1 / 377.

21- الطنطاوي، محمد : **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، ص 134 .

22- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، ج 1، ص 537.

23- الشافعي، حسن محمود: **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1991، ص 240.

24- ابن جني: **الخصائص**، ج2، ص 356.

25- الكفوي، أبو البقاء ايوب بن موسى: **الكليات معجم الفروق**، ص 447 .

26- ابن جني: **الخصائص**، ج1، ص 174.

27- ابن جني: **الخصائص**، ج1، ص 183.

28- الآمدي، الإحكام، كتب هوامشه: **إبراهيم العجوز**، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، 1 (18).

29- الشهرزوري، الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، **علوم الحديث مقدمة ابن صالح**، تحقيق: نور الدين، ص 151.

30- ابن جني: **الخصائص**، ج3 ،ص 318.

31- أبو المكارم، علي : **تقويم الفكر النحوي**، ص 137-136.

32- السيوطي، الاقتراح، ص 46.

33- القاسمي، علي: **المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي**، مقال بمجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، المغرب، عدد 27، 1986، ص 82.

34- سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 12.

35- ابن عباد، إسماعيل: **المحيط في اللغة**، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ج 3، ص 82- 83.

36- سورة الحج، الآية 11

37- طبي، محمد: **وضع المصطلحات**، المؤسسة العمومية ، الجزائر، 1992، ص 41-40.

38- ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة دار المعارف، مصر ط 2، د.ت، ج 5، ص 3715.

39- ابن فارس، **معجم المقاييس اللغوية**، د.ت، ج 5، ص 108.

40- الأحمر، خلف: **مقدمة في النحو**، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، 1961، ص 33.

41- الجاحظ، أبو عثمان: **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ج 2، ص 38.

الثامن عشر: المصادر

1. الزيات، احمد حسن: **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر الطباعة والنشر، د.ت.

2. ابن جني، **الخصائص**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2.

3. الحموي، **ياقوت**: معجم الأدباء، ج 1.

4. السيرافي: **أخبار النحويين البصريين**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1973.

5. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **معجم العين**، العراق، ج 3، مادة صلح.

6. الزبيدي، مرتضى الحسيني: **تاج العروس**، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، ج6، 1965.

7. الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، ضبطه محمد بن عبد الحكم القاضي، دار الكتاب، القاهرة، 1991.

8. مجمع اللغة العربية، الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، 1989.

9. الحديدي، ايناس كمال الحديدي: **المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث**، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2006.

10. الحمزاوي، محمد رشاد: **قضايا المصطلح والمصطلحية والمعجم في نظر مصطفى الشهابي**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد 72، كانون الثاني 1996.

11. المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث.

12. القوزي حمد عوض، **المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري**.

13. أبو عَبْدِ اَلرحْمَنْ اَلْخَلِيلْ بْنْ أَحْمَدْ بْنْ عَمْرُو بْنْ تَمِيمْ اَلْفَرَاهِيدِي اَلْأَزْدِيّ اَلْيَحْمَدِي اَلْبَصَرِيَّ المعروف بَالْفَرَاهِيدِي (100 هـ 170 هـ – 718م 786م).

14. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: **الكتاب**، عالم الكتب، ج 1، ط 3، 1983.

15. الطنطاوي، محمد : **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**.

16. ابن العماد، : **شذرات الذهب**، مكتبة القدسي، 1935، 1 / 377.

17. الطنطاوي، محمد : **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**.

18. الشافعي، حسن محمود: **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1991.

19. الكفوي، أبو البقاء ايوب بن موسى: **الكليات معجم الفروق**..

20. الآمدي، الإحكام ، كتب هوامشه : إبراهيم العجوز ، **الكتب العلمية**، بيروت، ط1، 1985، 1.

21. الشهرزوري، الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، **علوم الحديث مقدمة ابن صالح**، تحقيق: نور الدين.

22. أبو المكارم، علي : **تقويم الفكر النحوي**.

23. السيوطي، **الاقتراح**.

24. القاسمي، علي: **المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي**، مقال بمجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، **المغرب**، عدد 27، 1986.

25. ابن عباد، إسماعيل : **المحيط في اللغة، تحقيق** : الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ج 3.

26. سورة الحج، الآية11.

27. طبي، محمد: **وضع المصطلحات**، المؤسسة العمومية ، الجزائر، 1992.

28. ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة دار المعارف، مصر ط 2، د.ت، ج 5.

29. ابن فارس، **معجم المقاييس اللغوية**، د.ت، ج 5.

30. الأحمر، خلف : **مقدمة في النحو**، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، 1961.

31. الجاحظ، أبو عثمان : **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج 2، ط1، 1991.